# تصوّر أوروبا الغربية للحضارة العربية

السندرو بوزاني

١ - يشير العنوان الى «تصور أوربا الغربية». لذا أرى من الاصلح قبل كل شيء تحديد ما أعنيه «بالحضارة الاوربية الغربية». أعتقد شخصيا أن الحضارة الغربية الحديثة تعتمد على عنصرين أساسيين: أحدهما يتعلق خاصة بالعلوم الانسانية والآخر بالعلوم الطبيعية. وهذان العنصران هما العنصر التاريخي والعنصر التقني. فاذا ما قبلنا هذا التحديد (وأعترف أنه جدّ مبهم) ينتج عن ذلك أنه لا بد من أن ننقل تاريخ ميلاد الحضارة الاوربية الحديثة الى فترة متأخرة نسبياً. ويبدو من الواضح أن هذين العنصرين لا ينطبقان لا على القرون الوسطى ولا على عصر النهضة.

لقد جمع ألكسندر كويري كمية عظمى من المعلومات في محاولة حل مشكلة تاريخ انبعاث العالم الحديث(أعني العالم العلمي الحق) وسبب هذا الانبعاث.[١] تختلف الآراء حول هذه المشكلة اختلافاً شاسعاً ويتضارب بعضها مع البعض. وكثيراً ما تقارن الحضارة العتيقة أو الكلاسيكية بالحضارة الحديثة، على أساس «النوعية مقابل الكمية» (حسب قول غينون، ويجدر بالذكر أنه اعتنق بعد ذلك بسنين عقيدة اسلامية متصوّفة ومات **شيخاً** بالقاهرة سنة ١٩٥٥)[٢] وعلى أساس «التقريب مقابل الدقة» (كويري).[٣] وهناك أيضا اختلاف أكبر ويتمثل في أن الثقافة العتيقة كانت تقابل **المعرفة** (Epistèmè) **بالمناعة** (Technè) بينما يبدو أن العالم «الحديث» يتّصف بتوفيق منسجم بينهما. على أن كويري[٤] محقّ في تأكيده على أن العالم العتيق أيضا عرف واستعمل القياس الكمّي بالاضافة الى الاعتبارات النوعية.

وفي مجال الرياضيات البحتة فان المفهوم الغربي الحديث يتمثل في امتزاج متناسق بين الجبر والهندسة بطريقة ديكرت للتحليل الهندسي والحسابيات. كما أنه ليس بالامكان قياس الاشكال الهندسية فقط بل أي شكل وحتى الاشكال غير المستقيمة وذلك باستعمال الحساب اللانهائي الصغر. وها نحن قد وصلنا القرنين السابع عشر والثامن عشر **هذا هو التاريخ الحقيقي لانبعاث عالمنا الغربي الحديث.**

وهكذا فان الهوة بين ما قبل حضارتنا العصرية وحضارتنا الحديثة ونعني مثلا بين برونتولاتيني وغاليلي، لاتزال مع ذلك شاسعة (بقطع النظر عن شواذ مهمة). وحتى مؤرخ كبير في ميداني الحضارة والعلوم مثل أ. كويري يبدو متجاهلا بصفة غريبة لمساهمة المسلمين(أو مساهمة العرب كما يسميها الناس عادة) في بعث هذه الثقافة الغربية الحديثة كما حددناها. وهو قلما يذكر العلماء المسلمين أو العرب أو يورد أقوالهم في كتابه الهام (**من العالم المنغلق الى الكون غير المحدود.**)[٥].

وأرى شخصياً أنه يمكن لنا أن نحدّ بعض الشيء على الاقل من شساعة هذه الهوة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار جزءا مهمّا من تراثنا في القرون الوسطى، وأعني بذلك حضارة المسلمين أو العرب في القرون الوسطى. فيكفي أن ندخل القرون الوسطى الاسلامية في «عصور الظلام» عندنا لكي يصير تطوّر ثقافتنا أسهل فهماً ونبدّد الافكار الخاطئة مثل اعتبار القرون الوسطى «كعصور الظلام» من جهة ومثل المعجزة التي تنافي التاريخ والتي يراها بعضهم في نهضة يظهر أن السبب الوحيد في وجودها هو وحي الآلهة اليونانيين.

واسمحوا لي أن أورد جملة أخرى لكويري. فبعد أن تحدث عن مفاهيم العالم «التي يمثل فيها الانسان والكون وحدة لا تتجزأ ولا فرق ولا خلاف بينهما». قال هذا العالم:«من الاكيد أننا بالنسبة لما نسميه بالعلم نجد أنفسنا أمام وضع مختلف تماما. أمام **تعارض** بين الانسان في الكون والكون الذي يعيش فيه[٦]». اني اعتبر أنه من البديهي أن الديانات المؤمنة بإله واحد عامةً والاسلام خاصة ساهمت بقدر عظيم في ايجاد هذا «التضارب» بين «الانسان والكون».

٢ - وبعد هذا التحديد للحضارة الغربية الحديثة لابدّ لنا الآن من الوصول الى تعريف معادل لما يسمّى بالحضارة العربية. أعترف أني لا أفهم بصفة واضحة ما تعنيه الحضارة «العربية» بينما أعتقد فهم معنى الحضارة الاسلامية بوضوح ما (أو ما كانت تعنيه هذه الحضارة في الماضي. أرجو ألاّ يؤاخذني المستمعون على عدم تعصّبي للقومية). هل كان ابن سينا الفارسي فيلسوفا عربيا أم فيلسوفا **اسلاميا**؟ وهل كان البيروني الخوارزمي (وهو مثل ابن سينا قل ان كتب في أي لغة غير العربية) عربيا؟ اذا لم يكن هناك غير اللغة للأخذ بالاعتبار فأنا مستعد تمام الاستعداد لاعتبارهما كعربيين مع أنه لم ير ابن سيناولا البيروني قطّ في حياتها بلدا عربيا. ولكني أفضل اعتبار كبار عباقرة الثقافة «العربية» الكلاسيكية كممثلين للحضارة **الاسلامية** التي أعطت اللغة العربية صبغتها العالمية. لهذا مع أن **الدين** (في مفهومه

«المحدود» المتداول عند الغرب حاليا) كلمة لا تنطبق الاّ جزئيا على الاسلام فاسمحوا لي بأن أفضل الحديث عن الحضارة الاسلامية عوضاً عن الحضارة العربية.

وبالرغم من أن ذلك يبدو من باب المبالغة في التبسيط فان دراسة نوعية عامة للديانات لاتبيّن حسب رأيي غير نوعين أساسيين أحدهما ما أسماه مركيا ايلياد بالديانة «القديمة[٧]» والآخر ما أسميه بدين «عبادة الاله الواحد[٨]». لقد قلت ديانات ولكن للأسباب نفسها الواردة سابقاً كان بالامكان أن أتحدث عن «حضارات».

وبالرغم من انتشارها في الوقت الحاضر فان الديانات الموحّدة كانت أول الامر ظاهرة شاذة في الحياة الدينية والحضارية للعالم القديم. فالديانة الموحدة بمعناها المحدود كما عرّف بها ييتازوني[٩] لم تظهر في الحقيقة الاّ مرة في التاريخ وذلك في آسيا الغربية وهذا النوع من الديانات سواء أكان ذلك بالنسبة لدين اليهود الرسولي أو للدين الاسلامي فانه ظهر **كثورة واعية** ضد الحضارة العتيقة (التي تؤمن عامة بتعدد الآلهة أو بأن الاله يتجلّى في الطبيعة) ثورة تقودها شخصية قوية هي الرسول المناضل والمعذب عامة. وان النقطة الاساسية في هذه الثورة ليست نظرية بصفة ملحوظة بل هي قوة فعالة. فهي قائمة بالاساس على تجمع **الروح الالهية** (ويمكن القول أن هذه الروح تبدو في الحضارة العتيقة مشتتة في الطبيعة وحولها) في نقطة قوة فعالة واحدة تسمى الله، هي خارج الطبيعة.

وبالرغم من أن المؤسسين القدامى للديانات الموحدة لا يستعملون فكرة تشخيص الإله بالمرة فان شخصية الإله (ويعطونه عامة اسما خاصا أيضا: يهوه ...الله ... الخ ...) مكون أساسي في كل الديانات الموحدة.

وخلاصة الامر فان الروح الالهية متجمّلة في اله سام واحد. فلا شيء مقدس على الارض ولا في السماوات ما عدا الله. وان أخلاقيات مثل هذا النوع من الديانات الموحدة أساسها القوة والارادة كما أن مصدر شموليته يتركز على فكرة القوة. لو لم يكن الله اله الجميع لما كان قادراً على كل شيٍ ولكانت قدرته منقوصة. ويستحيل التفكير في التسامح في هذه النقطة الاساسية: «واقتلوهم حيث ثقفتموهم» (القران: ٢ - ١٩١) وهذه جملة قد ننفر منها جميعا في عصرنا هذا ولكنها تحتوي على مبدأ اتبعته جميع الحضارات المماثلة (وربما استعملت بعضها كلمة قتل بمعنى يختلف شيئا ما) بما في ذلك حضارتنا الاوربية الى غاية انتهاء الاستعمار وفي بعض الاحيان الى حد الآن (انظر الى البرازيليين وهم يقضون على القبائل الحمر غير المنصاعة في أمازونيا باستعمال النابلم).

وهذا الرفض لاي تواطؤ مع العالم العتيق هو ما مكّن الاسلام (والاسلام محاط بالثقافات العتيقة: لأن المسيحية نفسها بعد تأثرها العميق بالافكار اليونانية ورجوعها الى الآراء العتيقة كانت تخضع بصفة مخيفة لميول لانسان الغريزي دوما الى الكفر) من قوّته الثورية في المجالين السياسي والاجتماعي أيضا.

لا قيصر ولا كسرى هو الله وحده. ليس هناك أي سبب يبرّر تمييز السماء على الارض. قال الباقلاني[١٠]: «ان السموات والنجوم مخلوقات كسائر الاشياء فليس لها أي خاصية مقدسة .....قد **جاز عليها ... ما يجوز على سائر أجسام العالم**» ما عدا الاله وهو موجود خارج العالم. وان فقيه الدين لا يهتم بالغيب (وهذا موقف متضارب جدّا مع موقف العقائد المسيحية) وحتى أقدس رجال الاسلام الرسول محمد فانه يقول:«لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب...»

فمن الواضح اذن أن الاسلام ركز جلّ اهتمامه على **الشريعة** في حين أبدت المسيحية من البداية اهتماما عميقا **بالعقائد**. على أني أرى أن الموقف الاول يعاضد العلوم (التجريبية) أكثر من الموقف الثاني. اما الامر (هذا الامر من الصنف الاخلاقي والاجتماعي العلمي) بالصوم طيلة ٣٠ يوما في شهر رمضان فانه يمكن أن ينصاع له أينشتاين مثلا بأكثر سهولة من الأمر بأن يؤمن (ان أراد النجاة) بأن المسيح بعث حيّا وصعد بجسمه الى السماء. وبالطبع فاني أعلم جيدا أن الاسلام أيضا كوّن «عقائده» ومنها الايمان بارتقاء المسيح الى السماء الرابعة. ولكن مثل هذه العقائد المتكونة في وقت متأخر هي أقل أهمية بالنسبة للاسلام منها بالنسبة للمسيحية وليست الا عقائد هامشية بحتة بالنسبة لجوهر الدين الاسلامي.

ليست هذه نظريات حمقاء ليس الاّ، فإن الواقع يدل على ازدهار العلوم التجريبية خلال العصور الزاهرة في تاريخ الإسلام، في حين أن العلوم التجريبية كانت في الحضيض أثناء العصر الزاهر للمسيحية (ما أسموه بالقرون الوسطى والعليا).

أرجو الاّ يصدر أي سوء تفاهم بيننا. فاني لا أعني أن الحضارة الاسلامية كانت في مجموعها دائما تشجع العلوم ولا أقدّم لكم أي حكم من هذا النوع. كل ما أريد تأكيده أن علوما تجريبية من النوع الحديث لم يكن خلقها ممكنا الا بعد أن خلّصت الطبيعة من قيود الوثنية وأن الديانة الموحدة في مفهومها الاخلص (أو الأكثر تسامحا ان شئتم) هي الشرط الاساسي في انبعاث العلوم التجريبية..

٣ - لقد حان الوقت للحديث عن «العرض التاريخي» وهو ما يمكن أن يكون موضوع محاضرة جديدة وهي محاضرة قمت بها بالفعل منذ سنين عديدة بالباكستان وأثارت بعض الضجة بين الحاضرين من الغربيين وكان عنوانها «عرض تاريخي قصير كما زعمته أوربا ضد الاسلام» على أنه من أجل الاسباب التي ذكرناها سابقا يمكن أن يكون عنوان هذه المحاضرة: «عرض تاريخي قصير لما زعمته أوربا ضد العرب». ولقد اعتمدت في هذه المحاضرة على كتاب هام جداً ومشجع نشر بالايطالية منذ سنين (سنة ١٩٥٦) ولم يثر أي اهتمام من قبل القراء المثقفين في ايطاليا. كتبه الدبرنديني ملفتزي الصديق والتلميذ للعالم الايطالي المتخصص في الاسلام ليوني كيتاني[١١]

وهو كتاب مهم أيضا (خلافا لبعض المستشرقين الغربيين)، لان المؤلف لم يكن مستشرقا ولم يكن يكنّ أي عداء ضد الاسلام. على العكس فانه أكد جليّا أن الاسلام هو الديانة المطابقة للعقل أكثر من كل الديانات المنزّلة وأن موقف المسلم تجاه الدين هو أكثر المواقف

مواجهة للمنطلق الانساني، فان هذا التاريخ يمكن ويجب أن يكون مفيدا جدّا في اظهار الاسباب التي لا تمت الى الدين بصلة والتي تكمن وراء المواقف المناهضة للاسلام (أو ان شئتم للعرب) وفي انارة طريق ممكن كي لا يكرر التاريخ نفسه.

وأول عنصر مثالي يتمثل في أن أقدم المؤرخين المسيحيين يعطون أهمية كبيرة للاصلاحات المالية التي أدخلها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥) يذكر المؤرخ ميخائيل سيروس (دار شابو للنشر، باريس، ١٨٩٩ - ١٩١٠، الصفحة ٥٢٢) أن هذا الخليفة فرض ضرائب على الكنائس والأديار والرهبان وحجز العديد من الممتلكات الكنائسية خاصة في أرمينيا. وان الشكاوي والاحتجاجات التي عبر عنها العديد من المؤرخين المسيحيين في العصر نفسه لم تكن على ما يبدو ناتجة عن ازدياد هذه الضرائب التي كان يدفعها عامة المسيحيين وقبل ظهور الاسلام للحكومة البيزنطية وانما مرجعها الى **الغاء الامتيازات المالية القديمة التي كان يتمتع بها رجال الدين المسيحيون**. فلقد نتج عن قيام الحكم الاسلامي شيء لم تجرؤ على انجازه الحكومات المسيحية في أوربا الاّ أخيرا: أعني **المساواة المالية** بين المسيحيين سواء أكانوا رجال دين أو من عامة الناس أمام الدولة (الاسلامية). وهناك إجراء هام آخر اتخذه قبل ذلك بسنين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. قال المؤرخ العربي الشهير البلاذري أنه في سنة ٨١ هجريا (٧٠٠ ميلاديا) دعا الخليفة سرجون (وهو سرجيوس والد فقيه الدين المسيحي المشهور يوحنا الدمشقي) وعرض عليه مشروعا جديدا في ميدان الادارة العمومية وفيما ينص عليه هذا المشروع ابطال استعمال اللغة اليونانية في الوثائق الحكومية وتعويضها باللغة العربية. قال البلاذري «فتأسف سرجون لذلك شديد الاسف ولما غادر بلاط الخليفة التقى ببعض الموظفين اليونانيين وقال لهم: عليكم بالبحث عن عمل آخر من الآن فصاعدا فان الله قد حرمكم من هذه المهنة.».

لذلك فليس من باب الصدف أن نجد أن أول ما كتبه المؤرخون المسيحيون عن الاسلام موضوعيّ على العموم بالرغم من بعض سوء التفاهم المنطقي والاشمئزاز، بينما تبدأ الطعنات الاكثر شراسة ضد هذه الديانة الجديدة الخطيرة (حتى في الميدان المالي) بعد السنين الاولى للقرن الثامن.

ومن أهم ما رواه عن الاسلام والمسلمين أول الكتّاب المسيحيين نجد ما كتبه صوفرونيوس بطرك القدس عند غزو عمر للمدينة المقدسة حسبما رواه المؤرخ البيزنطي تيوفانس في كتابه **مقياس التاريخ** (وهو عمل ألف ما لا يزيد عن ١٠٠ سنة بعد ما حدث) فلقد تعجب البطرك خاصة من مظهر الخليفة العربي الذي كان يسوده الفقر والبساطة واندهش عندما علم أن أمنية عمر الاولى هي أن يرى هيكل سليمان. واضطر صوفرونيوس الى الالحاح الشديد كي يقنع عمر بأن يقبل منه كساء نظيفا وجديدا. قبل عمر الكساء ولكنه ما أن غسلت ثيابه القديمة الممزقة حتى ألحّ هو الآخر على ارتدائها من جديد. ومن بين الذين عاصروا الغزو الاسلامي الاول الارمني سيبيوس **تاريخ هرقل**. (ترجمه ف. ماكلر. الصفحة ٩٤) قال في حديثه عن محمّد أنه كان تاجراً عربياً ذا ثقافة بالغة قدّم نفسه الى العرب بوصفه رسولا من الله وعرّفهم بإلّه ابراهيم «لذلك أقلع كل العرب عن عبادة الاصنام ورجعوا الى عبادة إلّه واحد كما أمر الله أباهم ابراهيم». وصول الفرائض الاخلاقية الاسلامية أشار سيبيوس الى تحريم أكل الحيوانات التي لم تذبح طبقا للشريعة وتحريم الخمر والبهتان والزنا».

وقد يطول سرد عدد آخر من النصوص القديمة. ومن البديهي أن لا يأمل المسلم أن يجد فيها أيضا أفكارا ثابتة وموافقة لحقيقة الاسلام. ولكن تجدر الملاحظة أنه ليس هناك من بين هؤلاء الكتاب المسيحيين الاوائل الذين تحدثوا عن الاسلام من وصف محمدا بالكاذب أو بالرسول المزيف كما صارت العادة عند من كتبوا عن الاسلام من المؤرخين المسيحيين بعد ذلك.

ولم يحتدّ الجدال ضدّ الاسلام الاّ بعد الصدمة السياسية والمالية الاولى، على أن هذه الانتقادات الاولى صدرت عن اشخاص كانوا يعرفون العربية معرفة جيدة وقادرين على قراءة النصوص الاصلية. ومن بين هذه الكتابات نجد رسالة ضد الاسلام كتبها القديس يوحنا الدمشقي (٦٥٥ - ٧٤٩ تقريبا) ابن المنصور بن سرجون الذي ذكرناه سابقا وهي رسالة مدرجة في دراسته العامة للبدعات، أو المحادثة المهذبة وان كانت هجائية بين مسلم ومسيحي التي كتبها تيودوروس أبو قرّة أسقف حرّان الشهير. أو قصة جدال ديني وقع بين هذا الاسقف نفسه والخليفة المأمون. أو الرسالة التبريرية التي كتبها العربي المسيحي الكندي (عبد المسيح الكندي، منشورات ميور) سنة ٨٣٠ م تقريبا في بلاط نفس الخليفة العباسي المتسامح. أما البراهين ضد الاسلام المدونة في الكتب التي أشرنا اليها سابقا فغالبا ما تكون لاذعة وقد ينفعل منها المسلم الحقيقي. هذا صحيح. على أن هذه البراهين مكتوبة في أسلوب مهذب. من ذلك أن تيودوروس أبو قرّة عقب محادثته مع الخليفة المأمون ذهب الى القول: «وحييت الخليفة ودعوت له بالخير والتمست الانصراف».

ولكن بعد ذلك، أعني بعد القرن التاسع تمتاز المجادلات المسيحية ضد الاسلام بعنصرين هامّين: حدة السّباب الموجود فيها والجهل الذي يكاد يكون مفرطا للحقائق الاسلامية من قبل كاتبيها وهم عامةً رهبان ذوو ثقافة محدودة يستعملون في وصفهم للاسلام النماذج التقليدية المستعملة في الكتب المسيحية المتخصصة في دحض البدع المسيحية. فلنستمع مثلا الى ما يقوله عن «البدعة» الاسلامية الراهب البيزنطي همّرتولوس (٨٢٤ - ٨٦٨ ميلاديا) وهو في مقدمة هذه «الدفعة الجديدة» من الكتّاب المبرّزين للمسيحية. حسب قول هذا الراهب ان العبارة العربية الله أكبر (وهو يكتبها غلطا: «الله الله هو كبر الله) تعني: «القمر والزهرة أكبر من الله». تعتمد هذه الترجمة الغريبة على خلط في معرفة الوثنية العربية الجاهلية التي كانوا يعتقدون أن محمدا يؤيدها (!). وهذا جهل لا يكاد يقبله العقل اذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعلومات الادق عن الاسلام التي رأيناها عند كتاب آخرين كانوا أكثر رصانة. ومن المؤسف أن هذه العادة الرهبانية أقرّها كتاب نقل بعضهم عن البعض بدون أي اعتبار للحقيقة التاريخية الى أن ألّفت «التواريخ الكنائسية» الشهيرة مثل تاريخ بارونيوس (١٥٣٨ - ١٦٠٧) وتاريخ تيمونت (١٦٩٣). وهكذا فان

بارونيوس وهو رجل عاش في آخر القرن السادس عشر لا يزال في امكانه كتابة ما يلي: «يقال إنه (يعني محمداً) وفق بين عبادة النجم المسمّى بكوبدو أو الزهرة وعبادة القمر». وأخيرا في أوائل القرن الثامن عشر فقط فان العلامة القس اللبناني السمعاني الذي كان الحافظ الاكبر لمكتبة بلاط البابا وفق أخيرا في وضع حدّ لهذه السلسلة المضحكة من التقالد بتفسير الغلط النحوي واللغوي الموجود في الترجمة القديمة التي قام بها همّرتولوس. وهناك مذهب غريب آخر نسبه الى الاسلام راهب بيزنطي آخر وهو ايتيمبوس زيقابينوس في القرن الثاني عشر. فمن الواضح انه أول بعض الروايات الاسلامية حول مدلول الصفة الالهية **الصمد** تأويلا خاطئا فكتب أن المسلمين يعتقدون ان «الله جسم صلب ومكوّر».

على أن هذه الآراء كادت تبقى طرائف غريبة مدونة في كتب يونانية قديمة مودوعة في الاديرة البيزنطية لولا التحريض الكبير على مثل هذا النوع من المجادلة الذي وجهه رهبان أوروبا الغربية في أيام الحروب الصليبية. فلقد رأى الرهبان الاوربيون في القرون الوسطى في محمد مبتدعا مسيحيا ووجدوا في مذهبه تحريفا محرّما (هرطقة) للحقيقة المسيحية. ومن المعلوم أن الحقد اللاهوتي وهو من أمرّ وأشرس أنواع الحقد يتوجه بالخصوص ضد البدع عوضا عن الديانات المخالفة تماما. فاذا ما تجسمت هذه البدعة المزعومة كما فعل الاسلام في قوة سياسية تهدد نفس كيان «الديانة الام» فان الحقد يتخذ شدة متجددة. ولكن هذا لا يفسّر كيف أن رهبان القرون الوسطى توصلوا الى اعتبار الاسلام كبدعة مسيحية(هرطقة)، ومن الارجح أن أهم الاسباب غلطة **جغرافية**. ذلك أن سكان أوربا الغربية في القرون الوسطى العليا كانوا لا يميّزون بين العربية مهد الاسلام والمنطقة أو الاقليم التابع للامبراطورية الرومانية المسمى رسميا بالعربية والذي يقع في تراب ما نسميه اليوم بسوريا.(كانت عاصمة الولاية العربية في عهد الامبراطورطراجان هي «بوسترة» أو بصرى). وفي العديد من النصوص التي كتبت في القرون الوسطى عن الإسلام فان ميدان الحركة المحمدية ينقل ما يقرب من ألف كيلومتر نحو الشمال الغربي الى جهة تدمر. وأخيرا فان هناك بعض النصوص نجد فيها أن مكة مسقط رأس محمد هي «مدينة بلاد الفرس» (ومن المحتمل أن هذا يرجع الى تأويل خاطئ بالنسبة للحكم الفارسي في جنوب الجزيرة العربية في أيام الرسول). وهذا الخطأ الجغرافي اذا ما أضفناه الى أن سوريا كانت في الحقيقة مركز اشعاع للعديد من البدع المسيحية من النوع المعرفي (غنوسي) منذ زمن طويل يفسر على الاقل بعض آراء مسيحيي القرون الوسطى في الاسلام، وهناك عنصران آخران لابد من اضافتهما الى ما سبق أحدهما يتمثل في طرق البحث العلمي في القرون الوسطى التي كانت تعتمد على النقل والتقليد الاسلوبي البحت لما ورد في الكتابات الموقرة وعلى تكرار النماذج المستعملة في كتب دخص البدع والتي تنسب بدون تمييز الى مختلف أنواع البدع. أما العنصر الآخر فهو الهدف العملي والسياسي: وهو يرمي الى بعث الحقد في قلوب المحاربين المسيحيين نحو عدوهم الالد في ذلك الوقت. وهكذا فان الاديرة أصبحت بمثابة وزارات للدعاية منظمة تمكن السلطة السياسية مما يلزمها من الرسائل السياسية المناوئة للاسلام. زد على ذلك أن المعلومات عن الواقع الاسلامي التي كان يستعملها الرهبان احيانا في تحرير رسائلهم المعادية كانوا يستقونها خاصة من روايات شفوية غامضة وغير مفهومة عن تجارة وتجار جاهلين، كان لهؤلاء عامة علاقات شخصية بمسلمين من الطبقة السفلى غير المتعلمة. أو بما أنهم كانوا غير قادرين على التحدث باللغة العربية فان علاقات هؤلاء التجارة والتجار كانت بمسيحيين ويهود يعيشون في البلدان العربية (اسبانيا أو صقلية). وهذا يعني أنهم يستقون معلوماتهم عن أناس من حقهم تقديم الحقيقة في شكل معاضد لمصالحهم ومناوئ لمصالح الطبقات المسلمة الحاكمة في صقلية واسبانيا. كل هذا أدى الى انشاء نوذج خاص من حياة الرسول يكاد يكون مطابقاً للخطوط الآتية: كان محمد مسيحيا معمّدا من سوريا (وقال بعضهم إنه كان قسّا أو راهبا أو أسقفا) ولكنه لأسباب مختلفة كحّبه للنساء خاصة أو تعرض السلط المسيحية لمصالحه فرّ من مسقط رأسه وأسس مذهبا جديدا ذا خاصيات وثنية قوية كي ينتقم من أعدائه.

ومن أغرب الامور وأدلها على الحقيقة أنه في الوقت الذي كان فيه الرهبان ينشرون هذه الحكايات السخيفة بين عامة الناس في أوربا الغربية فان البابوات الذين حاولوا أحيانا في القرون الوسطى اقامة علاقات حسنة مع الحكام العرب من أجل حماية رعاياهم المسيحيين قلت ان البابوات بيّنوا في العديد من المناسبات أنهم يعرفون تعاليم الاسلام معرفة جيدة عجيبة. ففي سنة ١٠٧٦ مثلا بعث الناصر وهو ابن أخي مؤسس الدولة الحمادية في تونس سفيرا الى البابا غريغوريوس السابع محملا بالهدايا وطلب منه أن يزكي تعيين قس محلي كأسقف لبجاية وأعلمه انه اطلق سراح بعض المساجين المسيحيين فأجاب البابا بهذه الكلمات مبينا بذلك أن له أفكاراً عن الاسلام تختلف تماما عن الافكار الشائعة عند المسيحيين في ذلك الوقت:«لا شك ان الله قد أوحى لك بهذا العمل الكريم فان الله تعالى الذي يريد الخلاص الابدي لكل منا يفضل أن يرانا نتبادل المحبة. وينبغي أن تسود هذه المحبة بيننا نحن المسيحيين والمسلمين عن الافكار الشائعة عند المسيحيين في ذلك الوقت: «لا شك ان الله قد أوحى لك بهذا العمل الكريم فان الله تعالى الذي يريد الخلاص الابدي لكل منا بفضل أن يرانا نتبادل المحبة. وينبغي أن تسود هذه المحبة بيننا نحن المسيحيين والمسلمين بالخصوص لاننا نعترف كل منّا باسلوب مختلف بوحدانية الله ونصلي له ونعبده وهو خالق الكون وحاكمه الاعظم». وعلى هذا النسق فان غريغوريوس آخر جاء بعده وهو غريغوريوس التاسع أقام علاقات حسنة جدّا مع الملك الكامل (القرن الثالث عشر) الذي كان قد التقى بالقديس الشهير فرنسيس(المنسوب الى مدينة أسّيسي) خلال محاصرة دمياط ومعه خليفة بغداد المستأمر بالله وكذلك سلطاني قونية وحلب. وبعث لهم في الخامس عشر من فبراير سنة ١٢٣٣ منشورا ضمنه كلمات معتدلة ومعقولة تماما.

ولا بد أن نجد تفسيراً لهذا التضارب. ولا يمكن أن نستمد هذا التفسير الا من الاسباب العملية والسياسية التي لا تمت بصلة الى العوامل الدينية الحقيقية. ولا ننسَ أن القرون الوسطى هي عصور الحروب الصليبية، والحروب (وحتى الحروب المعاصرة) ويا للأسف تحل أنواع التهجّمات. ولكي أبرهن على ما أقول، من الجدير أن نتتبع ما حصل لأول ترجمة للقرآن في أوربا. ولكن الاب بيتر دي كلوني

(١٠٩٢ - ١١٥٦) أول من فكر (ومن الغريب ان لم يهتم بهذا أى شخص آخر من المدافعين عن المسيحية ضد الاسلام قبله) في قراءة الكتاب المقدس للديانة المعادية كي يكافحها. وهذه الترجمة التي شجع عليها ورعاها قام بها روبرت كيت (أو روبرت كانتنزيس أو روبرت تشتر) وكان عالما في الرياضيات ورئيس شمامسة الكنيسة في أسبانيا. وقد اكتمل هذا العمل سنة ١١٤٣ ولا بدّ أنه أدهش شيئا ما من كانوا يعتقدون أن محمداً قد أسس بدعة نصف وثنية دعت الناس الى أشنع المفسدات. وهذا ما قاله في القرآن وليم طرابلس وهو راهب دومينيقي عاش في سوريا في القرن الثاني عشر: «علامَ يحتوي القرآن؟ كتاب العرب الذين يسمونه القران أو «المصحف» يحتوي على ثناء كثير على الخالق وعلى كل من يؤمن بالله ويعمل صالحا. وهو كذلك يمجّد ويعظم عيسى بن مريم ومريم نفسها ويقول إنها وضعت المسيح رغم أنها لا تزال عذراء بارادة الله. كما أنه يثني على الآباء المقدسين المذكورين في العهد القديم. وهو يقول ان أربعة كتب أنزلت من السماء وهي التوراة والانجيل والزبور وكتاب الرسل وأن الكتاب المنزل الخامس هو القرآن. ولا يشير الى محمد إلاّ في مناسبتين بدون أن يثني عليه بصفحة خاصة. وبالعكس فانه يثني ثناء فائقا على عيسى وأمه مريم وأتباعه المسيحيين»... وانه لمن الصعب أن نتصور اختلافا أوضح مما وجدناه بين هذه الاعتبارات وبين الافكار المناهضة للاسلام التي نجدها عند الرهبان المعاصرين في غربي أوربا ومن بينهم بيتر دي كلوني نفسه الذي شجع على ترجمة القرآن. وهذه جملة وردت في كتابة «سمولة» (رسالة قصيرة ضد الاسلام) تدل على موقفه بعد أن قرأ لا شك متعجبا ترجمة روبرت تشستر للقران التي لم تكن محكمة ولكنها قريبة للاصل نسبيا: ولكي لا يظهر بمظهر المبالغ في الفساد فان محمدا أوصى ببعض الاعمال الصالحة كالصدقة وغيرها من الحسنات وأثنى على الصلاة أيضا... وهذا مما يجعله أسوأ فان المسلمين وان اعترفوا ببعض الحقائق حول الله فانهم يفصحون بالعديد من الأباطيل وليس عندهم المعمودية ولا الاعتراف أو أي شيء آخر من الطقوس المسيحية. ولا يلمح في رسالته **سمّولة** الى ما ورد في القران عن العذراء مريم أو الى الدروس الاخلاقية الموجودة في القرآن أو الى أشياء أخرى عديدة كان بالامكان ان تجعل الاسلام يظهر في مظهر محبب. وبالاضافة الى ذلك فان كل الجهود قد بذلت كي تبقى ترجمة الاسلام هذه بعيدة عن عيون عامة الناس. وهكذا فان دانتي الذي كان بامكانه (نظريّاً) أن يتطلع على ترجمة تقريبية وان كانت غير صحيحة تماما لكتاب الاسلام المقدس وان يعلم أن محمدا لم يكن صاحب بدعة مسيحية قلت ان دانتي تأثر بالآراء المعاصرة التي كانت لا تزال تردد حول نبي الاسلام..

ونجد عند الرحالة الايطالي الشهير مركوبولو (القرن الثالث عشر) نموذجا آخر من الاسباب السياسية والعملية للتحيّز ضد الاسلام في أوربا. فان المعلومات التي يوردها في كتابه **المليون** حول الصين وديانتها وديانة المغول تمتاز بالدقة ولا يزال يستعملها العلماء في عصرنا هذا. ولكن ما أن بلغ مركوبولو البلدان الاسلامية حتى بدأت دقته في الانهيار ونجده هنا وهناك يؤمن بأعجب لاساطير حول الإسلام (ومنها الفكرة الغريبة التي تقول بأن المسلم يعبد محمداً كما يعبد المسيحي عيسى أو الخرافات المصطنعة حول الفدائيين الاسماعليين). وبالطبع فانه من المستحيل الوقوف على سبب ديني بحت لموقفه: فان ديانات الصين أبعد من المسيحية وأقرب الى الوثنية من الاسلام. لهذا يتعين علينا أن نبحث عن السبب في جهة أخرى: أعني في المعلومات عن الاسلام المزيّفة قصدا أو التي كانت تنشرها دعاية حكومات غربي أوربا خاصة بواسطة الرسائل والردود المعدّه التي كان يكتبها الرهبان. ومما يثبت المصدر الرهباني لهذه الدعاية ناحية غريبة منها وهي التأكيد على الحرية الجنسية عند المسلم. ألّف راهب يدعى فرافيدنزيو حوالي سنة ١٢٩٠ كتابا عنوانه **كتاب استرجاع الارض المقدسة** يظهر فيه معرفة تستحق الاعتبار لنواحٍ عديده من الفقه الاسلامي وحتى اللغة العربية. وهو يناقش بكل برودة وبدون أي تجاوز في الكلام حتى أدق الفروق بين الديانتين، ولكنه عندما يصل الى موضوع تعدّد الزوجات فان موقفه الموضوعي يتبدل الى تهجّم ساخط. فهو يقول: «ان العرب يتمرغون في وحل الشهوات من رؤوسهم الى أرجلهم»... من أجل مثل هذه الاقوال من الرهبان المسيحيين ظهر موقف آخر مناوئ للإسلام يتمثل في أن القرآن كتاب ملئ بالفواحش. ومثلما هو الشأن بالنسبة لعدة مواقف متحيزة أخرى فان هذا الموقف بقي طويلا على قيد الحياة في اوروبا ولا بدّ أن أعترف بكل خجل أني ألتقي في عصرنا هذا بأناس يرغبون في قراءة ترجمة للقران وخاصة **سورة النساء**. أملا في العثور فيها على مالا اعرفه من الاوصاف للذات الشرقية المحرّمة. ومن الواضح ان أساس هذه الناحية من التحيّز ضد الاسلام يعود الى أن معظم الكتب الاوربية القديمة حول الاسلام كتبها رهبان أزعجتهم عفّتهم المفرطة..

وقد يكون أحسن دليل أن بعض الاتهامات الموجهة ضد الاسلام اخترعت عمدا لغاية عملية تتمثل في تحريض المسيحيين في أوربا على مقت عدوّهم (السياسي) ما ورد في كتابات راهب شهير آخر هو ريكولدو دا مونتكروتشي. ولقد سافر هذا الراهب في أواخر القرن الثالث عشر الى العديد من الدول الاسلامية، الى سوريا وبلاد الفرس والعراق، حيث تردد على الجامعة النظامية الشهيرة في بغداد وتعلم العربية ودرس القرآن باللغة العربية. ففي أحد كتبه، وهو كتاب يصف فيه رحلاته نجده يثني على حضارة المسلمين وأخلاقهم العالية وحسن ضيافتهم وتسامحهم، وذلك لأنهم سمحوا له ولرفاقه بالحديث عن المسيح والمسيحية في عقر بيتهم. ولكن هذا الراهب الذي قرأ القرآن بالعربية أقدم على كتابة هذه الجملة في كتاب آخر سماه **تفنيد القرآن**: يحلّل القرآن اللواط والإسراف والعنف ولا يقول أي شيء صالح عن الفضائل مثل الإنسانية والصبر والسلم والعفة وحب الجار وسعادة وحب الجار وسعادة الانسان في الآخرة. فاذا كنا لا نريد أن نفرض أنه أصيب بجنون مفاجيء (وهذا غير محتمل) أو بمرض أفقده حافظته فنحن مجبرون على اعتبار ريكولدو المسكين كرجل يتعاطى طوعا دعاية سياسية تعمد تنظيمها. وقد تكون القائمة لكل الاشخاص (ومنهم بعض رجال الثقافة المشهورين) في أوربا الذين ردّدوا بدون انقطاع أو أي تحوير كل السخافات التي ذكرناها سابقا عن الاسلام جدّ طويلة ومؤسفة. ما أريد أن أقوله هو أن انتصاب الدولة العثمانية في تركيا أضاف أسبابا عملية جديدة لهذه الدعاية المسمومة. فنسخت الكتب القديمة التي ألّفت في القرون الوسطى من جديد وطبعت مضافاً اليها تفاصيل غريبة جديدة. وفي الوقت نفسه وفي دوائر محدودة أكثر، فان

الدراسة العلمية للغات الشرقية عامة وللعربية خاصة التي ابتدأت مع عصر النهضة مكنّت من التعرف على النصوص العربية بصفة أحسن من ذي قبل. وان النشرة الجديدة سنة ١٥٤٣ للترجمة اللاتينية القديمة للقرآن التي قام بها روبرت تشستر، هذه النشرة التي أشرف عليها الفقيه البروتستاني بسبليادندرو كتب مقدمتها مارتن لوثر (بالرغم من النفد اللاذع للاسلام من قبل لوثر وغيره) كان بامكانها أن تساهم في تحسين التعريف بالإسلام لو لم يحرم الإسكندر السابع إدخال هذه الترجمة الى البلدان الكاثوليكية من اجل مقدمة لوثر التي تنتقد الكاثوليكية والاسلام في آن واحد. وحتى الاصلاح البروتستاني، بالرغم من مهاجمته للاشكال المسيحية الرهبانية العتيقة، فانه لم يفعل شيئا ليبير الرأي العام تجاه الإسلام، على خلاف ذلك فان هذا الاصلاح زاد في تركيز صورة محمد كرجل لا يتعاطى الا اللذات الشهوانية (وهي الصورة المعروفة في القرون الوسطى) وكرجل قوي وعنيف مثل قوّاد الجيوش التركية وهو يصوّره بعض الاحيان كتيمورلنك عتيق. هذا ما يراه ملنكثون، رفيق لوثر العالم، وحتى رجل عصر النهضة الواسع النظر والمجدّد أراسموس (ويا للأسف). كانت لهذا الرجل المثقف الداعي لتحرير الإنسان الشجاعة لأن يكتب أن محمداً كان قائداً عسكرياً في جيوش الأتراك الذين تنكّروا عليه في آخر الامر وقتلوه (اراسموس: **كونسلتا سيودي بلو تركيس** انفرندو: ليدن١٦٤٣). وقد أضافت المجادلات بين الكاثوليكيين والبروتستانيين في القرنين السادس والسابع عشر عنصراً غربياً آخر للعداء الأوربي ضد الاسلام. وقد استعمل المتجادلون المنتمون الى الشقّين، الاسلام ومحمد، كأدلة جدلية ضدّ دين العدو. وهكذا فإن المجادل الاسلام. الكاثوليكي بوستلّو في دفاعه عن الأسرار التي يريد البروتستانيون تحريمها يقول إن محمداً نفسه لم يبطل تناول القربان المقدس وأن للمسلمين في القرآن باباً يدعى باب القربان المقدس (ويعني سورة المائدة) يقرأونه يوم عيد الفصح (ويعني عيد الفطر).

ويمكن أن نختم هذه القائمة الطويلة، وان كانت منقوصة، للمؤلفات المعادية للاسلام بالاشارة الى أول ترجمة علمية للقرآن وهي التي قام بها الاب الايطالي لودوفيكو ماراكي ونشرت في آخر القرن السابع عشر (١٦٩٨) في بادوا. وهكذا فان الجدال الطويل وغير المفيد انتهى كما كان عليه أن يبدأ، أي بترجمة لذلك الكتاب الذي طالما انتقده أناس لم يطّلعوا عليه. واني لفخور بأن أورد هنا ما قاله ابن وطني ماراكي في مقدمته لترجمته وهي في مقدمته لترجمته وهي كلمات تعتبر انتقادا للخرافات السخيفة التي روّجها إخوانه في الدين الى حدّ عصره: «لو سردت قصة حياة محمد من خلال ما سجله كتّابنا (يعني الكتّاب المسيحيين) منه فإني متأكد من أن المسلمين سيسخرون مني وزيادة على ذلك فان كتبنا التي تتحدث عن محمد لا تتفق فيما تقوله حتى أنك إذا ما قرأتها فانك تتساءل هل ان هذه الكتب تتكلم عن الرجل نفسه».

ولا يمكن في الحقيقة اعتبار ماراكي كصديق حميم للإسلام، ولكن ترجمته للقرآن، لانها في الحقيقة دقيقة ومحكمة، فتحت الطريق أمام كل التراجم التي أنجزت في اللغات الاوربية: ومن المعروف أن ترجمة سيل المشهورة للانكليزية ليست الا نقلا الى الانكليزية لعمل ماراكي الذي قال عنه المستشرق البريطاني سرأدورد دنسون روس «يمثل خدمة علمية جبارة سبقت معظم المستشرقين في عهده بكثير».

٤ - وبالرغم من ضيق الوقت المتبقي فانه يتعين علينا أن نقيم أو نفسّر الأمور المحزنة التي لخصناها فيما سبق. لم أصل في الاستعراض التاريخي القصير الا الى عتبة العصور الحديثة.

وتبدو أول ملاحظة واضحة. فبالرغم من «حداثتنا» و «سعة بالنا» فانه من المؤكد أن شيئا من هذا الحقد المتبادل بين الاسلام والمسيحية أو ان شئتم بين الغرب والعدو الاول في تاريخنا وهو الاسلام العربي لا يزال موجودا. وهذا ما يمكن أن يفسّر الآراء التحيّزية الخفية التي تكمن في صدور أولئك الغربيين الذين لا يزالون حتى الآن في اختيارهم لنظرية غريبة يفضلون النظرية البوذية أو الطاوئية أو الهندوسية على النظرية العربية الاسلامية. وهذا ما قد يفسر ما سمعته بنفسي في برنامج تلفزي بالايطالية (أتحدث عن أيطاليا ولكن يمكن أن يقع مثل هذا في بلدان غربية أخرى أيضا...) :قال المذيع إن الاسلام يعتبر أن «النساء ليس لهن روح» بينما يقول القرآن بكل وضوح: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها.... الخ».

على أن ما أجده من الصعب على العقل أن يقبله أكثر مما سبق أن ذكرته هو التحيز الخفي الكامن في أقوال مؤرخ اسبانيا الشهير سانشيز البورنوز، فانه في مساهمته الطويلة والمهمة في «الاسبوع الثاني عشر في دراسات القرون الوسطى العليا» في سَبولتّو التي طرق فيها موضوع «الغرب والاسلام في القرون الوسطى العليا[١٢]» ذهب به التحيز الى حدّ أنه قارن بين الواقعية الغربيه، والتظاهر الشرقي المفرط، وانه عزا الى جنسيته الاسبانية البحتة تفسير ابن حيّان بصفة «عقلية غربية» لحقائق فسرها بصفة مختلفة مؤرخون متشبعون بالشرقيات (يعني: الافراط الشرقي).

وبالرغم من أني لم أسرد هنا غير مثال واحد، مع أنه يمكنني أن أقدم أمثلة عديدة أخرى، فانه من المؤكد أن بعض المستشرقين لا يزالون يظهرون تحيّزهم ضد ما هو اسلامي. ولا أعني بذلك ان هذا ينطبق على كل المستشرقين. وبوصفي ايطالياً فاني لفخور أن أذكر(ويمكن ذكر أمثلة أخرى من دول أخرى أيضا) على سبيل المثال س .أ . نلّينوالذي بيّن للعيان مساهمة العرب العظمى في تكوين العلم العالمي بطبعته الفائقة لأعمال عالم الفلك الشهير البتّاني[١٣] أو الامير ليون كايتاني (الذي لقبه بعض الصحفيين في عصره تهكماً «بالتركي»)[١٤] وهو الذي ساهم في القضاء على خرافة حرق عمر للمكتبة الشهيرة بالاسكندرية وهي خرافة يبدو أن بعض أنفسهم مثل حاجي خليفة قد قد صدقوها وهو الامير الذي بنشره لكتابه العظيم «حوليات الاسلام» الذي صدر في ١٠ أجزاء وشمل الاربعين سنة الاولى بعد الهجرة أعطى العالم العربي لمحة علمية عن السنوات الاولى الفاصلة في تاريخه، وبوصفه نائبا في البرلمان الايطالي فان هذا الامير عارض بشدة(بدون نجاح مع الأسف) الحرب ضد السلطنة العثمانية التي أدت في سنة ١٩١٢ الى الاستيلاء على ليبيا.

وبالطبع فانه يبدو من السخافة مطالبة مثل هؤلاء المستشرقين باعتناق الاسلام أو بتبنّي أفكار المحدثين من المسلمين أو العرب الذين

قبلوا أحيانا أغرب الاساطير المنقولة حول الاسلام، على أنهم ساهموا في بعث ذلك النضال النقدي الذي سهل في الشرق أعمال طه حسين (المتوفى سنة ١٩٧٣) مثلا وهو العالم الذي افتخر بانه تلميذ م.قويدي وس.أ. نلّينو كما ساهم في ابراز غرور أولئك العلماء الغربيين الذين لا يزالون ينظرون الى **النهضة** كظاهرة غربية ويونانية بحتة.

وهكذا فاني أعود بنفسي الى لافكار التي بينتها في الجزء الاول من محاضرتي: وأعيد هنا ما أعتبره اللحن المتكرر في كل كتاباتي كمستشرق وأعني بذلك أن الاسلام (والعروبة اذن) «جزء لا يتجزأ من الحضارة الغربية». وهذا هو العنوان نفسه («الاسلام كجزء لا يتجزأ من الحضارة الغربية») الذي أعطيته لمساهمتي في ملتقى نظمته في أمستردام سنة ١٩٧٣ الاكاديمية الهولندية الثقافية فان فيتنشاين، ولقد نشرت هذه المساهمة سنة ١٩٧٤..

وختاما لهذه المحاضرة اسمحوا لي بان أسرد عليكم الأسطر الاخيرة من محاضرتي بأمستردام، فاني بذلك أعبر عن احترامي للاسلام والعروبة من جهة وللعلوم العصرية من جهة أخرى، وهذان شيئان لا أعتبرهما مختلفين بل اعتبرهما ملتحمين التحاما عميقا:

«ومن امتيازات الشمول التي تتمتع بها العلوم الغربية الحديثة استعدادها لقبول أرخيميديس وكذلك البيروني وأينشتاين أيضا كأبنائها، وبالاضافة الى ذلك اذا لم تفسدها مناوأة للديانات لا تتماشى مع التاريخ، استعدادها لقبول موسى وعيسى ومحمد كأناس ساهموا في ظهورها».

السندرو بوزاني

---

هوامش.

---

١ - مثلا في كتابه الشهر: **من العلم المنغلق الى الكون غير المحدود**، بولتمور ١٩٥٧، **دراسات في تاريخ الفكر الفلسفي**، باريس، ١٩٦١. **دراسات في تاريخ الفكر العلمي** باريس، ١٩٧٣، والعديد من الكتب الاخرى.

٢ - فبلسوف فرنسي ممتاز وعالم مختص في «علوم المكتومات» (١٨٨٦ - ١٩٥١) بالرغم من تأثيره العميق على التفكير الديني في الغرب فلم تقع دراسة آثاره مثلما وقع ذلك بالنسبة لمفكرين أوربيين آخرين هم أقل منه قيمة وقد يكون ذلك بسبب احترامة البالغ للتقاليد (ومن الراجح أيضا بسبب اعتناقه للاسلام في آخر حياته). انظر في: ب. ساكورني: **الحياة البسيطة لزغينون**، باريس ١٩٥٨

٣ - هدا عنوان مقال هامّ كتبه «**من العالم التقريبي الى كون الدقة**» نشر في مجلة «النفد» عدد ٢٨ سنة ١٩٤٨.

٤ - دكر هذا العمل في الصفحة ٩١ من النرجمة الايطالية.

٥ - ان كويري قلّما بذكر البيروني مثلاً حسبما أعلم. وربما كانت مبوله لأفلاطون والفكر الافلاطوني وابرازه لها «كالمهد القديم» للعلم الحديث مما أفضى به الى عدم اعارة العلماء «التحريبين» المسلمين أهمية كبيرة.

- في مقاله «مراحل علم الكون» الذى ألقي سنة ١٩٤٨ ونشر في دراسات في تاريخ الفكر العلمي: الصفحة ٨٧.

٧ - مثلا في كتابه «أسطورة العودة الابدية»، باريس ١٩٤٩.

٨ - يمكنك أن تجد مزيدا من التفاصيل عن آرائي في الديانات الموحدة ونوعياتها في: أ. بوساني «**نوتي براوناتيبولوجيا دل مونوتيزمو**» في مجلة «ستودي ماتيريالي دى ستوريا دلي ريليدجيوني»، الجزء عدد ٢٨ وكذلك في مقال لي عنوانه **هل يمكن تدريس الديانات الموحّدة؟** صدر بمجلة «نومان» الجزء ١٠ العدد ٣ (ديسمبر سنة ١٩٦٣).

٩ - في كتاباته المختلفة حول هذا الموضوع (**ديو: فرمدزيوني أي زفيلوبودل مونوتيزمو** بولونيا، ١٩٢٢، **شاغي وسطوريا دلّي ريليدجوني أي ميطولودجيا**، روما، ١٩٤٦، أو منيسيانريادي ديو، تورينو، ١٩٥٥.... أؤكد، وأرى أنه على الصواب، على تحديد الدين الموحد تحديدا دقيقا ودلك أيضا لتحسب الافكار الغامضة حول ما يسمى «الدين الموحد عند الامم المتحلفة».

١٠ - كتاب التمهيد: النص العربي كما نشره ف.ر.ج مكارثي، بيروت ١٩٥٧، الصفحة ٤٨.

١١ - أ. مالفسزي: الاسلام والثقافة الاوربية، البندقية، ١٩٥٦.

١٢ - س. سانتشار البورنوز: **الاسلام في أسبانيا والغرب** في «الغرب والاسلام في القرون الوسطى العليا» ٢٨ أبريل ١٩٦٤، ملتقى سبولتو الاول سنة ١٩٦٥ الصفحات ١٤٩ الى ٣٠٨. انظر بالخصوص الصفحة ١٨٨ وما يتبعها.

١٣ - البتاني سيفي التاني أوبوس أسترونوميكوم أد فدم كوتسيس أسكوريا لنزيس أرابكي ايدتوم لاتني فرسوم، أدنوتاسيو نبوس انستركتوم. كتبه س.أ. نلّينو، في ٣ أجزاء ملانو، ١٨٩٩ - ١٩٠٧.

١٤ - الامير ل. كيتاني وهو من عائلة عريقة ونبيلة (من بين أسلافه البابا الشهيربونيماص الثامن عدو دانتي الألد) كانت آراؤه اشتراكية ومناهضة للقومية. ومات هذا الامير بكندا سنة ١٩٣٨ في المنفى أثناء الحكم الفاشي. انظر فيما يخصه: ف. قابريالي: ل. **كيتاني** في «لاستوريوقرافيا أربو اسلامكا ان ايطاليا»، نابلي، ١٩٧٥، الصفحات ٤٧ - ٦١.

١٥ - انظر المقدمة **لكشف الظنون** لكاتب شلبي (حجي خليفة)، الجزء الاول، اسطامبول ١٩٧١ مشورات يالتكايا بيلج.

١٦ - انظر ترجمته لنفسه **(الايام)**.

١٧ - **دراسات في الاسلام** ....، أمستردام، ١٩٧٤، الصفحات ١٩ - ٣٦. ما أوردته يقع في صفحة ٣٦.